



اسم المقال: وماذا ان اخطأت فرنسا في موضوعه العراق

اسم الكاتب: عبد الحميد الموساوي

رابط ثابت: <https://political-encyclopedia.org/library/32>

تاريخ الاسترداد: 2026/04/09 11:14 +03

الموسوعة السياسية هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت. لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسية - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسية - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع <https://political-encyclopedia.org/terms-of-use>



وماذا ان اخطأت فرنسا في موضوعة العراق

بقلم: باسكال كوش Pascal CVUHE^(١)ترجمة: عبد الحميد الموساوي^(٢)

لقد خرج الاتحاد من هذه الازمة اكثر انقساماً مما كان عليه في السابق، سواء على مستوى الدول الخمسة عشر، او اتجاه الاعضاء الجدد وهو ما يجازف بتعقيد ليس فقط نجاح توسيع الاتحاد، لكن كذلك البناء الفعلي لاوروبا السياسية الغائبة على المساحة الدولية بشكل ملموس.

Politique étrangere

لقد كان الذهول كبيراً عندما تبين من خلال قراءة استطلاع قامت به قناة فرنسا الاولى^(٣)، اذ واحداً من بين كل ثلاثة من الفرنسيين من الذين سئلوا كانوا ينتصرون انتصار العراق في الحرب ضد الولايات المتحدة الامريكية مجبرين هكذا الوزير الاول، جون بيار رافران، على القول "بأنه يجب ان لا تخطى في تحديد العنق".

وقد اظهر الاستطلاع نفسه ان ٣٤% فقط من الفرنسيين الذين سئلوا كانوا يشعرون "انهم اكثر ميلاً" الى جانب الولايات المتحدة الامريكية والبريطانيين.

واذا لم يكن احد يشك في كون الرأي العام الفرنسي كان مناهضاً في اقليته للحرب، فإن القليلون هم اولئك

باعتراضها على الولايات المتحدة الامريكية بخصوص الشأن العراقي، كانت فرنسا قد راهنت على الأمم المتحدة، وقد خسرت هذا الرهان. لقد خرجت فرنسا ضعيفة من هذه الازمة، فيما كان الانتصار العسكري للولايات المتحدة الامريكية يبدو وكأنه اعطى المزيد من المصداقية لانصار استخدام القوة باعتبارها الوسيلة الرئيسية في العلاقات الدولية.

ففي عالم ما وراء الاطلسي يبدو انه وبعد احداث ١١ ايلول ٢٠٠١ اصبحت الولايات المتحدة الامريكية عرضة للمخاطر المستمرة ويمكن الوصول اليها. ان الولايات المتحدة الامريكية لم تعد مصدر الثقة في ميكانيكيات الامن الجماعي من اجل ضمان امنها.

لقد انتهجت الولايات المتحدة خيار استخدام القوة العسكرية، عائدة بذلك الى المفهوم التقليدي للقوة بشكل اكثر مما كان عليه الحال في العقد المنصرم. ومن الجانب الاخر، فإن فرنسا، ومن خلال خسارتها لذلك الرهان، قد جرت هذه الخسارة كذلك على الاتحاد الاوروبي.

(١) باسكال كوش، محامي في احدى الوزارات الفرنسية، يحمل شهادة الدكتوراه في القانون من جامعة باريس الثانية.
(٢) باحث في مركز الدراسات الفلسطينية. جامعة بغداد.

ان مثل هذا الخليط او المزيج لا يمكن ان يفرضي، على المدى البعيد الا الى غموض ولبس في القيم، والى سياسة فرنسية معارضة للولايات المتحدة الامريكية عوضاً عن شرعنة التيار المتصاعد والمعادي للولايات المتحدة الامريكية.

طفو القارات" نظرية فائتلة بلن القارات تطفو على سطح جسم لزج (المترجم)

ان التباعد المتزايد بين الولايات المتحدة الامريكية و"اوروبا العجوز" غداة احداث الحادي عشر من ايلول حول نظرتهم للعالم تكشف عن مرض خطير يدفعنا الى تخمين امكانية حدوث طلاق بين ضفتي المحيط الاطلسي.

ان الانفصال الجسدي بين اوروبا والولايات المتحدة الامريكية بمناسبة الازمة العراقية يكشف في الواقع عن تباعد عميق حول رؤيتهما على التوالي للعالم وهو ما يقودنا الى التمعن في المستقبل نفسه للعلاقات الاطلسية عبر المحيط.

التشبه كذباً بالديغولية

ان السياسة الخارجية التي قادها الرئيس جاك شيراك ووزير خارجيته دومينيك دوفيلبان بمناسبة الازمة العراقية قد رحب بها ونظر اليها كعودة فرنسا الى رقة الشطرنج الدولية، سامحة للرئيس بأضفاء مسلك ديغولي على دبلوماسيته، ولكن مع تراجع هذه السياسة وانحسارها يبدو ان

الذين كانوا يذهبون الى حد الاعتقاد ان جزءاً غير هامشي من الرأي العام كان يتمنى انتصاراً الطاغية ضد قوات التحالف، متجاوزين بذلك ثوابتنا وسلم قيمنا الاساسية، التي هي في الاجمال حماية قيم الديمقراطية الليبرالية.

ان الولايات المتحدة الامريكية التي كانت تعتبر كحامية لمثل الحرية والديمقراطية في العالم منذ زمن بعيد، اصبح ينظر اليها، من هنا فصاعداً، من قبل جزء متزايد من الرأي العام، كنموذج مناقض، وهو ما يتزكنا نؤمن بـ"طفوة القارات"⁽¹⁾.

لقد انهار فجأة الرصيد الهائل من التعاطف الذي جمعه الولايات المتحدة الامريكية غداة احداث الحادي عشر من ايلول، تاركاً مكانة لمعارضة عنيفة متهمه الرئيس الامريكي جورج والكر بوش بشكل خاص.

ان "محور الشر" (العراق، ايران وكوريا الشمالية) الذي اخبرت عنه واشنطن لم يكن - هكذا - سوى بتكار للولايات المتحدة الامريكية، وهو ائتلاف من الدول البائسة الفقيرة والضعيفة، ضحية الهيمنة الخطيرة لامبراطورية منحرفة.

ان العدوان على الشعب العراقي المخالف للقانون الدولي، كان من الممكن ان تقوم به ونقوده دولة في طريق التراجع الديمقراطي بصدد البحث عن شرعية لقوتها من خلال القيام بالحرب المستمرة ضد ضعفاء الكرة الارضية⁽²⁾.

هذه المقارنة لم تصمد امام كل التحاليل.

فاذا كانت سياسة الجنرال ديغول الخارجية مركزة على تأكيد الاستقلال الوطني لفرنسا، وتبدي الرغبة في التحرر من الوصاية الامريكية، فان المعارضة للولايات المتحدة الامريكية لم تكن معارضة وجه لوجه الا نادراً. ان فرنسا الجنرال ديغول لم تكن تبحث حقيقة عن التصدي لمخططات الولايات المتحدة الامريكية عندما تقدم هذه الاخيرة على عمل يهدف الى المحافظة على مصالحها الحيوية. وعلى اية حال عندما كانت المعارضة تلك تهدد بتدخل فرنسا في الضفة الاخرى للاطلسي، فان الجنرال ديغول كان يأخذ حذره ويعمل على الحفاظ على المفيد، ومعناها المحافظة على علاقات غير اطلسية قوية فوق الانقسامات الظاهرية وتلك كانت الحالة لحظة ازمة الحلف الاطلسي عام ١٩٦٦ عندما كانت المصالح الحيوية للولايات المتحدة الامريكية تتعرض للخطر، كما كان الحال في عام ١٩٦٢ اثناء ازمة كوبا؛ لقد بقيت فرنسا دائماً الى جانب حليفها الولايات المتحدة الامريكية.

هذا التحفظ كان يجد تفسيره منطقياً في الحرب الباردة ومنطق سياسة الكتل، إذ فرنسا كانت تتخبط في حينه الى الحلف الاطلسي كوسيلة لضمان حماية مصالحها الحيوية. وعلى الرغم من سياسة الردع النووية التي

طورتها ابتداءاً من عام ١٩٦٠، فأنها كانت واعية ان الولايات المتحدة الامريكية هي وحدها القادرة بشكل نهائي على ضمان وحدة أوروبا الغربية. وبغض النظر عن الازمات الظرفية التي كانت تمس الحلف الاطلسي، فان الغربيين كانوا يمتلكون مجموعة مصالح حقيقية: - انهم كانوا يبنون هكذا وحتهم ضد تهديد الاتحاد السوفيتي.

ومن جانب آخر فان الجنرال ديغول كان يدرك جيداً، ان فرنسا وبما لها قوة نووية متوسطة فأنها كانت لا تمتلك الوسائل للوقوف وجه لوجه ضد زعامة الولايات المتحدة الامريكية.

ان عدداً لا بأس به من علامات الاستقلالية الوطنية للسياسة الديغولية كانت في شكلها الواسع سياسة كلامية فقط وفي النهاية كانت سياسة تابعة الى مبدأ الواقعية.

لقد ابتعدت فرنسا اثناء الازمة العراقية عن مبدأ الواقعية بشكل واضح.

ان الدبلوماسية "الغابية" لجاك شيراك ووزير خارجيته دوفيليان في مواجهة الولايات المتحدة الامريكية كانت تتطلب بالضرورة وفي الواقع قوة حقيقية لا تمتلكها فرنسا.

ان القرار الاحادي الجانب للولايات المتحدة الامريكية في سحب المسألة العراقية من الامم المتحدة من اجل تجنب خطر شجبها اثناء التصويت على قرار جديد، يبين بما لا يقبل

على الشرعية الدولية والعمل مع المجتمع الدولي.

ان الاستراتيجية الفرنسية على هذا الشكل لم تتمح في الحقيقة اي فرصة للتراجع، وكان الانتصار هو المخرج الوحيد، ومعناها القرار بأخضاع الولايات المتحدة الامريكية الى رغبة الامم المتحدة.

ان كل رفض من الولايات المتحدة الامريكية للالتزام بقيادة تحالف ناجح في العراق لم يكن بفضي في الحقيقة الا الى رفض اللعبة المتعددة الاطراف.

لقد خسرت فرنسا المباراة الدبلوماسية في حين تحولت اللعبة الى ميدان آخر، هو ميدان الحرب.

ان فشل فرنسا في محاولة عرقلة الولايات المتحدة الامريكية حوت ثلاثة نتائج ممكن حصولها فيما وراء الازمة العراقية تكون لها ارتدادات وانعكاسات على المدى البعيد.

ويمكن ان نتلخص هذه النتائج او الآثار في كلمة واحدة: الضعف او الوهم. الضعف في الرابطة متعددة الاطراف عبر الاطلسي، والبرهنة الفاضحة على ذلك اذا ما اقتضى الامر عن الانكسارات السياسية للاتحاد الاوروبي التي تفصل بين معسكر الاطلسيين الصامدين ومعسكر انصار اوربا المدافعة عن استقلاليتها.

ان الكشف عن هذه الانقسامات الموروثة عن مرحلة الحرب الباردة

الجدل حدود وسيلة الردع التي يمتلكها حق النقض "الفيتو" في مجلس الامن.

اننا نشير على الدوام الى القوة الردعية لحق النقض "الاممي" ذاهبين الى حد الحديث عن "سلاح نووي دبلوماسي"، ومعناها اننا ننسى ان الردع لا يمكن فقط في التهديد المعبر عنه بخصوص طرف ثالث، لكن في مدى مصداقية هذا التهديد.

ان التهديد باللجوء الى استخدام الفيتو ليس قابلاً للتصديق ولا يمكن ان يضيف عليه طابع الردع الا عندما يكون صاحب حق النقض يمتلك الوسائل في تغليب وجهة نظره.

فاما ان تخضع الدولة الى القواعد المتعددة الاطراف، وامام مواجهة التهديد باستخدام حق النقض ضدها تتخلى عن عملها، واما انها تفضل حماية مصالحها وتتخلى عن القواعد متعددة الاطراف وتتصرف بما يملئها عليها مصالحها.

ان العمل من خارج الاطراف متعدد الاطراف ليس ممكناً الا في اطار حالة اللامتناهية في القوة.

ان فرنسا المزدانة ببهارج القوة "حق النقض" والمسلوب من الوسائل الحقيقية لهذه القوة تتعرض هكذا الى فشل دبلوماسي ذو آثار يصعب حصرها. وفي حالة عدم امتلاك القوة للاعتراض على الحرب فان المفيد والجوهري كان يكمن في الحفاظ على توازن الحلف وبالاخص على المحافظة

فيالإضافة إلى "الارهاب الإسلامي" اضيفت الحرب ضد "الدول الزقاقية"^(٢) التي تدعم الارهاب وتسانده، أو تهدد توازن الكرة الأرضية من خلال اتباعها سياسات الانتشار مثل كوريا الشمالية. وهكذا فقد وجد العدو الجديد، ويرى أن "محور الشر" بدأ يحل محل "امبراطورية الشر".

ان الحرب على الإسلام، والارهاب، "والدول الزقاقية" هي اهم المرتكزات التي ستساعد على اعادة تدعيم الهوية الغربية في ظل الهيمنة الأمريكية.

ويشرح ايمانويل تود في كتابه الاخير بعد الامبراطورية كيف تعاند الولايات المتحدة الأمريكية وتركب رأسها في صناعة الاعداء من اجل المحافظة على وهم عدم استقرار كوكب الأرض، وخطورته الذي سيكون في حاجة دائمة إليها من اجل حمايته".

وبحسب رأيه ان الارهاب العالمي ما هو الا خرافة، وسببى تنظيم القاعدة ظاهرة اسطورية تسمح للولايات المتحدة الأمريكية برفع الارهاب إلى مركز قوة عالمية، ومأسسه "حالة حرب دائمة على صعيد الكرة الأرضية"^(٣).

وعلى الرغم من ذلك، انه من الممكن التأكد ان الارهاب ليس اختراعاً للولايات المتحدة الأمريكية. ان "محور الشر" يتخذ شكل واقعة جيوبوليتيكية، حاله حال "امبراطورية الشر" للرئيس السابق

وتعريفها قادت إلى حدوث انفجار في الاطراف المتعدد الاطراف.

لقد كان من الممكن ان تعطي أوروبا الموحدة قوة للمواقف الفرنسية، الا ان تعريف سياسة خارجية وامنية مشتركة وانجازها تبقى قيد الانجاز.

ومن جانب آخر يمكن ان نتساءل حول مدى ملائمة توسيع الاتحاد الأوروبي، السابق لاوانه بدون شك تضرر الدول انصار الاطلسية ومواقعها مثل بولندا وجمهورية التشيك او هنغاريا.

نحو فك التقارب الاستراتيجي بين أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية؟

ان الازمة العراقية هي المظهر الجاد للتباعد العميق بين ضفتي المحيط الاطلسي حول طريقة تنظيم العالم وضبطه.

فمنذ انهيار الاتحاد السوفيتي لم يعد الغربيون يعتمدون-منذ ذلك الحين-في بناء هويتهم على معاداة "امبراطورية الشر".

وعلى الرغم من ان الغرب لم يعد له الاعداء، الا ان الولايات المتحدة الأمريكية تحاول خلق اعداء جدد محاولة منها اعادة بناء وحدة المعسكر الاطلسي في الاثناء، حيث ان صموئيل هنتكوتن سيكون نبي هذه الاستراتيجية القائلة بان الإسلام سيجابه الغرب في صدام حضارات لا مفر منه، وقد شكلت احداث الحادي عشر من أيلول تمهيداً لهذا الصدام المستقبلي.

رونالد ريغان التي كانت واقعة تاريخية.

فمن يجرؤ اليوم على الاعتراض على ملاتمة التحليل وصحته الذي قادتته ادارة الرئيس ريغان في ذلك الوقت؟

وهكذا فإن شروط تغيير الطور الاستراتيجي بين أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية قد اجتمعت اليوم. ان اختفاء العدو السوفيتي قد جعل القوة الأمريكية أقل نفعا وفائدة في اعين الأوروبيين بشكل لا جدال فيه، الذين حاولوا في نفس الوقت التعبير عن هويتهم الدفاعية الخاصة وامنهم الجماعي؛ ان الحرب على الارهاب غداة الحادي عشر من ايلول لا تشكل هدفاً يسمح بتوحيد الحلفاء حول استراتيجية مشتركة.

ومن خلال اللجوء الى القوة بذريعة الحرب ضد الارهاب دون موافقة الحلفاء الأوروبيين باستثناء بريطانيا العظمى واسبانيا فإن الولايات المتحدة تعيد الذكر للمراقبين-هكذا- بالدور الذي يمكن ان تلعبه سيادة القوة، او القوة بشكل ادق كأحدى الاتجاهات للسياسة الخارجية لدولة ما، ومن خلال ذلك ترسم انحرافاً استراتيجياً بين القارتين، في الوقت الذي تفضل فيه فرنسا وبشكل عام أوروبا دور الدبلوماسية كأداة لتنظيم العلاقات الدولية وضبطها.

ان اطروحة روبرت كاغان Robert Kagan القائلة بأن أوروبا قد

حادت عن القوة من خلال الدخول في عصر جديد، في جنة ما بعد التاريخ. والتي لا توجد فيها سوى الطمانينة والهدوء والرفاهية بشكل دائم^(٥).

ان دخول أوروبا في عصر السلام الابدي المطابق للنموذج المثالي للفيلسوف كانت، لم يكن من الممكن حصوله الا لكون الولايات المتحدة الأمريكية بقيت "موحلة ومتورطة" في التاريخ ناشرة قوتها العسكرية عبر انحاء العالم الفوضوي.

اما في أوروبا فينظر الى استخدام القوة من قبل الرأي العام بشكل اكثر فأكثر فقداناً للاعتبار لصالح اللجوء الى القانون، والمفاوضات والتعاون بين الامم.

ان قيم التعاون، واحترام القانون الدولي، وبأختصار الشرعية الدولية والعمل مع المجتمع الدولي، هي بكل تأكيد قيم محمودة تشكل نماذج رئيسية للسياسة الدولية؟ الا انها يجب ان لا تكون عذراً لتصل الديمقراطيات من مسؤولياتها القيمة فجأة الانظمة الأكثر طغياناً في الكرة الارضية.

ان احترام العدالة الدولية، يجب ان لا يفرض كذلك الى الاعتراف بحق الطغاة في تقرير مصيرهم بأنفسهم^(٦).

وكما قال روبرت كاغان Robert Kagan "ان أوروبا تنظر الى العالم بأعين الضعفاء"؛ فنادا ما يرحل الطغاة من تلقاء انفسهم، وكيف لا يمكن لنا الذكر بأن ميلوسوفيتش، وصادام

أكثر فأكثر كاشفة للعيان التباين في القيم. إن الولايات المتحدة قوة في حالة حركة دائمة تتباعد مبدأ الحركة المستمرة. ويكشف تاريخها أنها تمتلك طعم وروح المغامرة بينما تبدو أوروبا في نفس الوقت مجمدة وشقوقعة في اعتقاداتها مجردة من كل قدرة على تقديم المقترحات والقيام بالأفعال. إن الأزمة العراقية قد ساهمت

في إحياء شيخ مرض عام ١٩٣٨ وهو المعارض المرضي لعجز الديمقراطيين الليبرالية في مواجهة أنظمة الطغيان. إن عجز أوروبا عن تسوية الأزمات الأوروبية دون مساعدة الولايات المتحدة الأمريكية كما ظهر أخيراً في أزمة كوسوفو، لا يمكن إلا أن يعزز من المخاوف تجاه "التردد" الأوروبي.

إن عبارة جيمس هلمس القائلة بأن "الاتحاد الأوروبي عاجز حتى على مضغ علكة لينة" هي عبارة واضحة جداً^(٧).

إلا أن أوروبا لا يمكنها أن تبقى قزماً سياسياً وعسكرياً إلى الأبد والافتقدت مصداقيتها. إن "القوة الناعمة" بدون "القوة الخشنة" لا تطفئ لترسيخ مكانة الدولة وقوتها، إن يمكن أن تستند دائماً طبيعة القوة الحقيقية الاقتصادية والعسكرية والثقافية، والحقيقة تكمن هنا: إن العالم غير الموثوق الذي انبثق بعد أحداث الحادي عشر من أيلول يذكرنا إن القوة العسكرية تبقى المحدد الأول للقوة وهذا بالتأكيد لا يروق ولا يرضي انصار

حسين أو نظام طالبان لم يسقطوا سوى على إثر استخدام القوة وبدفع من الولايات المتحدة الأمريكية؟

وإذا كانت إدارة الرئيس كلينتون قد تركت مكانة واسعة للقوة الناعمة كأداة للسياسة الخارجية، فإن الإدارة الجهورية عرضت "القوة الشديدة الخشنة" كطباق من أطباق اليوم^(٨).

وبعيداً عن الولسونية الأصلية، اختارت الولايات المتحدة الأمريكية السياسة القائمة على استخدام القوة العسكرية واللجوء إلى القوة في سبيل ضمان تحقيق السلام في العالم.

يمكن هنا أن نلوم السيد روبرت كاغان في سوء تحليله للمراجع الفلسفية التي استند عليها عندما أراد تعزيز حججه، لاسيما هوبن وكانيت بالأخص، أو كذلك باللجوء إلى الإدراك التقليدي الضيق لمفهوم القوة في الماضي^(٩).

وهذا بطبيعة الحال لا يقلل من إن تحليله كان قد ركز على نقطة وثيقة الصلة: - إن ضفتي المحيط الأطلسي يمتلكان اليوم رؤيتان مختلفتان جداً عن تنظيم العالم.

وبكل تأكيد إذ هذا التباين ليس فقط من تاريخ الأمم، لكن أحداث الحادي عشر من أيلول أعطتها بعداً جديداً وكشفت عن عجز أوروبا في تبني استراتيجية الخاصة.

إن الهوة بين أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية تتعمق في كل يوم

أوروبا المتطلعين لأن تصبح القارة قوة عظمى مجردة من هدف عسكري ذو مصداقية.

إن الدولة يمكنها أن تشع على العالم أجمع بثقافتها وإن تبقى قزماً سياسياً، وحتى لو افترضنا امكانية امتلاك أوروبا- في يوم ما- قوة عسكرية مشابهة لقوة الولايات المتحدة الأمريكية فإن الاحتمال سيكون قليلاً في حصول الأجماع عند استخدامها. وفي استطلاع حديث كان 91% من الفرنسيين الذين سئلوا ينتمون أن تصبح أوروبا قوة عظمى⁽¹⁰⁾.

لكن هل إن الآراء العامة الأوروبية مستعدة للموافقة على إعطاء مكانة أكثر أهمية لاتفاقيات التسلح ضمن الميزانيات الوطنية وقبول اللجوء إلى استخدام القوة كوسيلة لتسوية العلاقات الدولية عندما يكون ذلك ضرورياً؟

الآن يوجد هناك تناقض بين الرغبة في أن تصبح أوروبا قوة عظمى دون إعطائها الوسائل الضرورية لذلك؟

هناك أسئلة عديدة مطروحة وعلى الأوروبيين الإجابة عليها اليوم. سياسة الأفراد بالقرار والفعل عالمياً والريبة والحذر من العمل المشترك

إن معارضة فرنسا لنوايا وتصميم الولايات المتحدة الأمريكية قد عزز في ثقة هذه الأخيرة بنفسها وبأنه

يجب أن لا تعتمد سوى على قوتها من أجل ضمان أمنها.

هناك حقيقتان تختفيان وراء سياسة الأفراد بالقرار والفعل عالمياً: -أنه أولاً مظهر من مظاهر العظمة، وكذلك القدرة على العمل منفرداً دون مساندة أي كان⁽¹¹⁾.

إن القوة والأفراد بالقرار والفعل هما شيء واحد نظراً لأن القوة هي شرط انتهاج سياسة الأفراد. إن الأفراد بالقرار والفعل هو كذلك مظهراً صارخاً لضعف أولئك الذين ينتقدون الأفراد، ومعناها دول أوروبا "القديمة".

إن "عظمة" الولايات المتحدة، إذا ما افترضنا أن هذا المفهوم له معنى، هي أولاً واضحة من خلال الأفراد في الضعف أو "عجز القوة" لأوروبا؛ إن الولايات المتحدة الأمريكية تترك جيداً بأنه لا يمكنها الاعتماد إلا على نفسها من أجل ضمان أمنها ومن ثم ضمان أمن العالم الحر.

إن رفض العمل المشترك مع المجتمع الدولي والشرعية الدولية ليس كلياً من جانب آخر. إن الولايات المتحدة تبقى مرتبطة طالما أن ذلك يمكن أن يخدم مصالحها.

إن عبارة "الشرعية الدولية والعمل المشترك مع المجتمع الدولي حسب الطلب" التي أطلقها ريتشارد هابس تلخص جيداً هذا الموقف.

إن الشرعية الدولية والعمل المشترك هو ابتكار أمريكي، أو تحديداً

ثمرة المفهوم المثالي الولسني للعلاقات الدولية.

ان عصبية الامم ومنظمة الامم المتحدة قد عملتا كأداتين تسمحان من خلال ميكانيكيات الامن الجماعي بضمان استقرار العالم وتجنب حروب مدنية اوروبية جديدة قد تتطلب تدخل الولايات المتحدة لاعادة السلام اليها. الا ان الشرعية الدولية والعمل المشترك مع المجتمع الدولي هو اليوم مدرك من قبل الولايات المتحدة كحاجز لقيادة سياسة هادفة الى ضمان امنها.

ان الانفراد بالقرار والفعل عالمياً يشكل للولايات المتحدة الطريق الوحيد الممكن من اجل ارساء الاستقرار في العالم ومن ثم تحقيق امنه. السياسة الخارجية لجورج بوش الابن بين الواقعية والمثالية.

ان الفعل الانفرادي للولايات المتحدة يفسر هكذا من خلال وعيها بعدم امكانية ضمان الامن في الاطوار المتعدد الاطراف، وفي حفظ الالفية الامريكية والحرب ضد الارهاب الذي يتطلب حسب ادارة بوش السى القوة؛ لكن مثل هذا الموقف هو اليوم-موقف غير مقبول عند اغلبية حلفاء الولايات المتحدة الامريكية الاوروبيين.

ان احداث الحادي عشر من ايلول، وفي هذا المجال، قد غيرت ما لا يقبل الجدل تلك المعطيات.

ان نوعاً من "الامبرالية الليبرالية" قد برز اليوم⁽¹¹⁾ مرتكزاً على اللجوء الى القوة كأداة لاعادة بناء

النظام الدولي. فالبنسبة لبيري هاسنير Pierre Hassner: ان تفسير هذه القطيعة مع الشرعية الدولية والعمل المشترك مع المجتمع الدولي يجب ان يبحث بشكل مباشر من خلال احداث الحادي عشر من ايلول⁽¹²⁾.

لقد اقتنعت الولايات المتحدة الامريكية بإمكانية تعرضها للخطر ومن ثم فانها الوحيدة التي يمكن ان تفعل شيئاً من اجل المحافظة على مصالحها.

ولهذا السبب فان الحروب التي قادتها منذ ذلك الوقت- 11 ايلول- هي حروب غير مشابهة لحرب فيتنام او الحروب العالمية الثانية. ان الولايات المتحدة مقتنعة اليوم لخوض الحرب من اجل المحافظة على مصالحها الحيوية، وحتى المحافظة على بقائها في المدى المتوسط. وضمن هذه الرؤية فان سياسة الاحتواء التي قادها جورج بوش الابن هي سياسة واقعية، وهي سياسة تهدف الى ضمان امن الولايات المتحدة قبل كل شيء في العالم غير المستقر بعد الحادي عشر من ايلول من خلال الحرب ضد الارهاب والدول "الزقاقية".

ان اهداف هذه السياسة ليست بعيدة عن الموقف الانعزالي اذا ما كانت هذه السياسة منكفئة نحو الداخل.

وبعيداً عن كل مثالية فان الولايات المتحدة الامريكية اعتمدت سياستها الخارجية في الاطوار الجيوبولتيكي الجديد المنبثق من احداث الحادي عشر من ايلول. زد على ذلك

كان هذا الشيء او ذاك في مصلحة الانسانية مع الوعي بالدور الاممي للولايات المتحدة الامريكية^(١٥).

وعليه يرد جورج والكربوش بأنه ليس من الممكن الحياد بين العدالة ومصائب الدهر، بين البرئ والمذنب، اننا في نزاع بين الخير والشر، وان الولايات المتحدة الامريكية تسمى الشر باسمه. عندما نحارب ضد الشر وضد الانظمة التي هي بلا دين ولا خلق، فأنا لا تخلق بذلك مشكلاً جديداً، بل اننا نكشف عن مشاكل قائم وموجود، واننا نقود الامم الاخرى من اجل معالجته^(١٦).

هذا الفن من البلاغة هوليس بعيداً عن اعادة التذكير بخطابات ونستون تشرشل اثناء الحرب العالمية الثانية، واصفا معركة العالم الحر ضد قوى الشر.

اما بالنسبة لودرو ويلسون فلن طبيعة الانظمة هي التي تحدد طبيعة العلاقات الدولية. ان الديمقراطية الليبرالية لا تقدم على عمل الحرب مع الديمقراطيات الليبرالية الاخرى. ومن خلال ذلك يتضح اذ بعض الانظمة هي على خلق عال افضل من انظمة اخرى. وبعبارة اخرى فان قوة الولايات المتحدة الامريكية قد وضعت في خدمة الانسانية وتطوير الديمقراطية الليبرالية طبقاً للنموذج الامريكي.

ففي المفهوم الويلسوني للعلاقات الدولية، اذ نشر الديمقراطية في العالم هو عنصر سلام (اداة) ويسمح بضممان

انه ليس من المؤكد ان بيل كلينتون كان سيتبع سياسة مختلفة جذرياً في اطار دولي مشابه.

ان قراءة السياسة الخارجية للولايات المتحدة الامريكية هي مع ذلك اكثر تعقيداً مما تبدو عليه، نظراً لانها مبنية كما وضع ذلك بييار هاسنير Pierre Hassner انطلاقاً من خليط ايدولوجي يمزج بين الانعزالية والانفراد بالقرار والفعل عالمياً، والمثالية والعالمية الاممية^(١٧).

وعلى الرغم من خاصيتها الواقعية، الا انه فعلاً وبما لا يقبل الجدل فان سياسة جورج بوش الابن هي كذلك سياسة مشرية بالمثالية.

فورا الحرب على الارهاب يظهر هدف آخر: الرغبة في تطوير الديمقراطية في الشرق الاوسط بدءاً بالعراق.

هذه السياسة تتدرج في التواصلية المجلدة من قبل انصار الرؤية المثالية للعلاقات الدولية. اننا نجد بالفعل في خطاب الرئيس جورج بوش بعض العبارات الولسونية. ان "محور الشر" الذي عرفه جورج بوش في خطابه حول حالة الاتحاد يوم ٢٩ كانون ثاني ٢٠٠٢ يذكرنا الى حد ما بعبارة "النظام الجديد للاشياء" التي اطلقها الرئيس روبرت ويلسون. ان وجود "محور الشر" يدعو الى المعركة من اجل الخير. ففي عام ١٩١٩ صرح ولسن ان المسألة المهمة والوحيدة لمستقبل الانسانية كانت في معرفة اذ

الولايات المتحدة تفرض باستخدام هيمنتها لأنها مدفوعة بالرغبة والحب في الهيمنة وفرض (الخوة) على العالم، ويبدو ذلك من خلال النظر الى البحث على صدام الحضارات الشهير من اجل القضاء على العالم الاسلامي.

ان الولايات المتحدة الامريكية قد تفقد صوابها هكذا من خلال جسر العالم في مغامرة غير محسوبة من اجل غايات ضبابية سطلقة منها: وضع اليد على النزول، ومصلحة رجال الاعمال، والتمسك على الاسلام... هذا المنطق يجد نتيجته عند جزء من الرأي العام في العبارة الغريبة: "لا لهذا ولا ذلك" -- لا لاین لاندز ولا لبوش، او في بعلتها: لا لصدام لا لبوش...

الا ان سياسة الاليزية لم تشجع حتماً على توضيح الحوار او النقاش. ان مثل هذا الخليط يعود الى نفي القيم الاولية التي تحملها اكبر ديمقراطية في العالم.

يمكن لنا ان نطلق خلاصتين من الازمة العراقية الاولى هي ان اضعاف الشرعية الدولية والعمل المشترك مع المجتمع الدولي سيعمل بالضرورة على تعقيد ادارة مرحلة ما بعد الحرب.

ان الولايات المتحدة الامريكية ستحاول حتماً ادارة مرحلة ما بعد الحرب في العراق وحدها الا اذا كانت هذه الادارة مرفوضة من قبل الشعب العراقي، فان واشنطن ستري ان انها مجبورة على مخرج متعدد الاطراف للازمة.

ومن جديد فان محاولة الانفراد بالقرار والفعل عالمياً هي محاولة تستحق النقد. وكيف يمكن ان تحجب من هذا الموقف بمقدار ما ان الولايات المتحدة الامريكية لا تعطي الثقة الى الامم المتحدة ولا الى حلفائها لا من اجل ادارة اثار الحرب التي لم يرغبوها ولا من اجل ادارة تقلبات العالم ما بعد الحادي عشر من ايلول؟

الخلاصة الثانية تتعلق بمستقبل الحلف الاطلسي على المدى المتوسط. فما هو المعنى الممكن اعطاؤه الى الحلف في الاطار الجيوبوليتيكي المتقلب في الوقت الذي يتطلع فيه الحلفاء الى شراكة سياسية مع الولايات المتحدة الامريكية؟ وكما وضع لورشوئين فان القيم المشتركة من قبل الرأي العام في اوربا وفي الولايات المتحدة الامريكية هي عديدة جداً بخلاف الانقسامات التي يشغلنا بها زعمائهم^(٢٠).

ان الشعوب تواصل في تقاسم نفس الرؤية للعالم ونفس المخاوف معتبرين انفسهم دائماً كحلفاء صلبين. ان استطلاعاً تم اجراؤه من قبل مؤسسة جيرمان مارشال German Marshal ومعهد شيكاغو للعلاقات الدولية Chicago Council On Foreign Relations قد بين بان اغلبيية الامريكيين الذين سئلوا كانوا يقبلون الحرب، شريطة ان تقوم بموافقة الحلفاء ومرافقتهم^(٢١).

ان الرأي العام الامريكي لا يرفض مبادئ التعاون، واحترام العدالة

والتي كانت أولى انتقاداتها تسبب
رئيس الولايات المتحدة الأمر
وساهمت في جعل من شخصية
رسولا أو مبعوثاً^(١١٢).

وهكذا، فإن جورج والك
سيكون مسلوباً من المميزات إلا
التي تضع رجل الدولة. ومن خا
الانتقادات فإن النخب الفرنسية
معاييرها الخاصة بها فيما يج
يكون عليه رجل الدولة في الولا
المتحدة الأمريكية.

وهكذا فإن الولايات المت
الأمريكية استطاعت أن يكون
بانعوا قمصان تمثلت في ش
الرئيس هاري ترومان أو ممثلو
سابقين تمثلت بشخصية الرئيس
ريغان، وبمقدار ما تعلق الأمر
ذاك فإن الاثنين كانا من كبار
لأنهما استطاعا قيادة السياسة
أن تكون في ذلك الأطوار الت
وبعبارات أخرى كان الرجلان
الاحساس بالتاريخ ولكن على
من أن لا هذا ولا ذلك كان
شهادات جامعية لم يمنع من
من قبل النخب السياسي
عصرهما^(١١٣).

انه لا يزال مبكراً م
الحكم على سياسة جورج والك
بل من الملائم فقط الاحتفاظ
التجارب التاريخية في الذاكرة
كل خلاصة مبكرة.

أما عن الانتقاد الثاني فهو مت
محتوى سياسة جورج والك

أمن الولايات المتحدة الأمريكية. ولهذا
فإن المثالية تخدم أهداف السياسة
الواقعية ومعناها تحقيق الأمن.

أذ سياسة جورج والكربوش
تندرج كذلك وبشكل مباشر في
استمرارية السياسة الويلسونية الجديدة
للرئيس رونالد ريغان. وهكذا إذ ما
فعلناه لم يكن سوى التذكير بالتماثل أو
التشابه بين تعبير "امبراطورية الشر"
وتعبير "محور الشر"، الذي هو خليط
بين الواقعية والمثالية.

لكن على خلاف ودور ويلسون
الذي كان يرى في الشرعية الدولية
والعمل المشترك مع المجتمع الدولي
والتعاون بين الأمم أفضل وسيلة
لضمان الأمن الدولي، فإن إدارة
الجمهوريين اليوم تراهن على تحقيق
الديمقراطية والأمن في العالم من خلال
استخدام الأسلحة، وهو ما دفع بييار
هاسنير Pierre Hassner إلى القول
أن السياسة الخارجية لجورج
والكربوش ينتمي إلى "الويلسونية
المتأهبة"^(١١٤). أنها إذن ليست خروجاً
عن القياس التاريخي لكن توجد
جذورها في التقاليد السياسية للولايات
المتحدة الأمريكية.

الانفراد بالقرار والفعل عالمياً
وزيادة حدة الاحساس المعادي للولايات
المتحدة الأمريكية

أحدى النتائج الأخرى للسياسة
الفرنسية-وليسنت النتيجة الأقل طبعاً-
تمثلت في تغذية صعود العداء للولايات
المتحدة الأمريكية في فرنسا طواعية،

مصلحة حقيقية بأن تتباهى علناً
بالرئيس بشار الأسد، حيث إن سوريا
كانت الدولة العربية الوحيدة التي
ساندت رسمياً صدام حسين ضد
الولايات المتحدة الأمريكية؟

بكل تأكيد لا، إلا إذا كانت
فرنسا ترغب في ترسيخ سياسة
معارضة للولايات المتحدة الأمريكية.

هناك معاناة أخرى تتمثل في
الضعف السياسي والاستراتيجي
لاوروبا. وبالفعل إن حال أوروبا يرثى
لها، لكن الواقع هو كذلك حيث ظهر
عبر السياسة الفرنسية: إن أوروبا لا
تساوي شيئاً على مسرح القوة.

إن الطريق لتحديد سياسة
دفاعية مشتركة جديدة بهذا الاسم هو
طريق طويل. إن الأوروبيين لا يمكن
أن يتحقق لمانتهم وتستجاب لها إلا في
ذلك الوقت الذي تصبح فيه أوروبا قوة
عظمى قادرة على المنافسة مع
الولايات المتحدة الأمريكية.

إن الأزمة العراقية كان لها
الفضل أخيراً في توضيح مبدئين
أساسيين للإدارة المتعددة الأطراف
للعلاقات الدولية.

فعندما يكون ضبط النظام
الدولي وتنظيمه مهيمناً عليه من قبل
قوة عظمى لا منافس لها وموكل إلى
منظمة دولية، فإن التوازن التعاوني لا
يمكن المحافظة عليه إلا عندما تكون
الأهداف المرسومة من قبل هذه القوة
العظمى مقبولة من قبل أغلبية أعضاء
"الجماعة" الدولية، وفي حالة التباعد

الدولية وهو ما يعمل على تقريبها مع
الرأي العام الأوروبي.

إن السؤال إذن هو معرفة ما
إذا كان الدفاع عن القيم المشتركة في
ضفتي المحيط الأطلسي سيكون كافياً
من أجل السماح بتجاوز هذه الأزمة
العميقة أكثر من ما هي تبدو عليه؟
لاشيء مؤكداً!

إن الاستراتيجية الفرنسية قد
فشلت لأن الحرب قد وقعت، وإن
انتصار الولايات المتحدة الأمريكية كان
انتصاراً سريعاً، وإن الطاغية قد سقطت.
وعليه فإن موقف فرنسا أصبح
هشاً مما دفع بفرنسا لأن تبحث من هنا
فصاعداً على استعادة اللعبة من خلال
التقارب مع بريطانيا العظمى التي تمثل
اليوم نقطة الوصل الوحيدة القابلة
للتصديق بين الولايات المتحدة
وأوروبا.

إن إعادة اعمار العراق،
وتحديد دور الأمم المتحدة في إدارة
مرحلة ما بعد الحرب ستكون أكثر من
مناسبة لإعادة ربط خيوط المفاوضات
مع واشنطن.

لقد أسهمت السياسة الفرنسية
تلك وبدون شك في تغذية التيار
المعادي للولايات المتحدة الأمريكية بين
الرأي العام الفرنسي. إن آثار التهجعات
على سياسة الولايات المتحدة الأمريكية
يمكن ادراكها من هنا فصاعداً في
الرأي العام. وإذا كانت فرنسا ستريح
كل شيء عندما أصبحت السنة الأولى
للدول العربية في الغرب، فهل لها

(¹³) V.D Hanson "Adieu a l'Europe" Le Debat n;123 janvier- fevrier 2003.

(¹⁴) Evropeen Public Opinion and Foreign Policy.

ومن المفيد ان تذكر ان ١٧% من الاوروبيين يرون ان لا ضرورة لوجود قوة عظمى، وهو رقم يرتفع الى ٢٥% في ألمانيا والاراضي المنخفضة.

(¹⁵) L.Cohen Tanvgi, opcit p:43

ونعني كلمة: Unilateralisme الافراد بالقرار والفعل عالمياً ومعناها تعبيراً عن تصرف الدولة طبقاً لرويتها الخاصة ومصالحها الخاصة، وهذا يفترض- بشكل طبيعي-امتلاك القدرة من اجل تأمين احتياجاتها الخاصة.

(¹⁶) D. Vernet "Le dilemme evropeen" Commentaire n;100, hiver 2002-2003.

(¹⁷) P. Hassner "Pvissance et legitimite" op Cit p:787.

(¹⁸) P. Hqssner "Etats Unis: l'empire dela force ou La force de l'empire? Cahiers de Chqillot, n;54 Paris, Institut de secvrite de l'Union evropeenne 2002.

(¹⁹) "هذا هو عصر يتطلب نظاماً جديداً للاشياء والذي يكون السؤال فيه هو التالي: هل هذا جيد؟ وهل هذا عادل؟ وهل هو في مصلحة الإنسانية". ذكره:

G. Chalaob et A. Bin America is Back: Les nouveaux Cesars do Pentagone, Paris, Bayard 2003, p.107.

(²⁰) من خطاب في حزيران ٢٠٠٢ في West Point

(²¹) P. Hassner "Etats Unies" l'empire de la force ovla force de l'empire?" op Cit. P:8.

(²²) L. Cohen-Tanvgi, 2003, opCit P:2 et P:39.

(²³) R.D. Kaplan, La Strategie ov goerrier. Paris Bayard 2002, p:58.

(²⁴) L. Cohen-Tanvgi, 2003, Op Cit P:204.

(²⁵) دراسة متاحة على شبكة الانترنت لموقع: German Marshall Fond of the United States "www.Gmfus.Org". المصدر

Irak: et si la France S'etait trompee?"

Pascal CVCHE

Politique etranger'e 2/2003.

العميق بين القوة العظمى ودور المجموعة الدولية، فإن النقل الموازن للقوة العظمى وحده فقط يمكن ان يسمح بتجنب عن الاطوار المتعدد الاطراف.

وبعبارات اخرى فإن النظام المتعدد الاطراف لا يمكن ان يرضى ويقنع بتغيير الطور الاستراتيجي دائماً في حالة لا تماثل القوة.

وإذا كان لايسد للطور الاستراتيجي بين الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا ان يستمر فإن زيادة القوة الأوروبية وحدها الكفيلة بأن تبقى الولايات المتحدة الأمريكية في اللعبة المتعددة الاطراف.

(²⁶) استطلاع أجرته لومند لصالح قناة فرنسا الأولى TF1، ظهر في جريدة لوموند الفرنسية بتاريخ نيسان ٢٠٠٣.

(²⁷) L. Cohen-Tanvgi, Les Sentinelles de la liberte', Leurope et les EtatsUnis Au sevil do xxIsiecle, Pqris Odile Jacob 2003, p.49.

(²⁸) اطروحة دافع عليها ايمتاويل تود في كتابه بعد الامبراطورية

Essai sur la decomposition do systeme americain, Paris Galimard, 2002.

(²⁹) ان عبارة الدول الزفافية، او عبارة الدول الغشاشة هي اقرب لفظاً ومعنى من عبارة الدول المارقة التي يستخدمها اساتذتنا العرب، وهي ترجمة للعبارة الفرنسية Etats Voyus او العبارة الانجليزية Rogves Stateo. (المترجم).

(³⁰) نفس المصدر، ص: ١١.

(³¹) R. Kagan, Power and Weakness" Policy Reviu n-113, 2002.

(³²) Y.Michaux "le cauchemar de la demagogie" Liberation 2/4/2003.

(³³) J. Nye- The Paradox of American Power (Oxford University Press, 2002.

(³⁴) R. Kagan. La notion de Povvoir est essentiellem ent militaire. Voir notamment. P Hqssner "Puissance et le'gtimite Commentaire n;100 hiver 2002-2003. P: 785.

